

عشرون دليلاً على تكريم الإسلام
للمرأة، وحفظ حقوقها واحترام
مشاعرها

إعداد: ماجد بن سليمان الرسي

عشرون دليلاً على تكريم الإسلام للمرأة وحفظ حقوقها واحترام مشاعرها^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد:

فلا يخفى على المتأمل في سيرة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وهدية (سلوكه) تلك النقلة النوعية التي حدثت للمرأة.

لقد أحيا النبي هذا الكيانَ المستضعف الذي ظُلم واضطُهد وامتهنت كرامته، وسُلبت إرادته، وكبت وأقْصِي على مدى حقِّ طويلة وأزمان متباعدة، لا شيء إلا لكونه أنثى.

لقد حمل النبي - صلى الله عليه وسلم - لواء الدفاع عن حقوق المرأة في زمن لم يكن للمرأة فيه أدنى حق، وانطلق في حملته لتكريم المرأة من قوله تعالى في القرآن العزيز: [ولقد كرّمنا بني آدم] ، ومن قوله تعالى: [ولهنّ مثل الذي عليهنّ بمعروف].

لقد تميّز هدي النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - في تأكيد وتأسيس حقوق المرأة بالشمولية والاستيعاب لجميع مراحلها العُمرية، فأعطاه حقوقها بنتاً وأختاً وزوجة وأماً، فتاة وعجوزاً، حرّة وأمةً، صحيحة ومريضة، غنية وفقيرة، حتى المرأة المشركة الغير مسلمة كان لها من رحمة النبي نصيب أكثر من رحمة قومها بها.

وفيما يلي ذكر أكثر من عشرين وجهاً من وجوه احترام النبي محمد عليه الصلاة والسلام للمرأة ، وتعليم أمته ذلك:

١. أبطل الإسلام عادة كراهية البنات، وبدأ القرآن بذكر الإناث كنعمةٍ من أعظم نعمه على الإنسان: [لله ملك السماوات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن

^١ استفدت كثيراً في إعداد هذا البحث من مقال للدكتور د. أحمد بن عثمان المزيد ، بعنوان «رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقوق المرأة» ، وهو منشور في شبكة المعلومات.

يشاء الذكور]، وأبطل عادةً دفن البنات: [وإذا المؤودة سُئلت * بأي ذنب قُتلت]، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات، ومنعاً وهات ، ووأد البنات». الوأد هو دفن البنت حية.

٢. وأبطل النبيُّ عادة التفضيل بين الأبناء فقال: «اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم».

٣. وأخبر النبي أن تربية البنات تحتاج إلى صبر ونفقات كثيرة، فرتب على ذلك الأجر العظيم فقال: «من عالَ جارتين حتى تبلُغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين - وضم أصابعه -».

عال أي ربّى.

وأمر النبي بالإحسان إلى البنات فقال: «ما من مسلم تدرك له ابنتان فيُحسن إليها ما صحبته أو صحبتهما إلا أدخلته الجنة» .

وانظر إلى هذا المشهد الرائع الذي ترويهِ السيدة عائشة - رضي الله عنه - فتقول: جاءت مسكينة تحمل ابنتين لها، فأعطت كل واحدة تمرّة، ورفعت إلى فيها تمرّة لتأكلها، فاستطعمتها ابنتها، فشقت التمرّة التي كانت تريد أن تأكلها بينهما، فأعجبني شأنها، فذكرتُ الذي صنعت لرسول الله فقال: «إن الله قد أوجب لها بها الجنة».

وكان العربيُّ في الجاهلية يأنف من أن يداعب وليدته أو يقبلها، فأبطل النبي هذه العادة، وكان يحملُ أُمّامة بنت ابنته على عاتقه وهو يصلي، فإذا ركع وضعها، وإذا رفع رفعها.

وكان يقول في ابنته فاطمة: «فاطمةُ بضعةٌ مني، يُربيني ما رابها، ويؤذيني ما آذاه». بضعة أي قطعة.

وانظر إلى حسن تعامله ولطفه عند لقائها فقد أتت تمشي إلى النبي، فقال: «مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرَّ إليها حديثاً فبكت، ثم أسرَّ إليها حديثاً فضحكت».

وأما الأخت فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «من عال ثلاث بنات، أو ثلاث أخوات، أو أختين أو ابنتين فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة».

٤. وأما الزوجة فقد ورد عن النبي في شأنها من حسن العشرة ولطف المعاملة وكرم النفس والمروءة ما يعجز القلم عن وصفه ، ولكن حسبنا ذكر بعض ما ورد في ذلك، فقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» .

وقال جابر في معاملة النبي لزوجته عائشة: «وكان رسول الله رجلاً سهلاً إذا هويت. أي إذا طلبت شيئاً».

ومن أجمل المواقف ما حدّثت به عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله قال لها: «إني لأعلم إذا كنت عني راضيةً، وإذا كنت عليّ غضبي»

قالت: من أين تعرف ذلك؟

قال: «أما إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا وربُّ محمد، وإذا كنت غضبي قلت: لا وربُّ إبراهيم»

قالت: أجل والله يا رسول الله، ما أهجُرُ إلا اسمك.

فأين نحن من هذا الدفء والعطف والحب والمودة؟

وعنها قالت: خرجت مع النبي في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم (أي كنت نحيفة). فقال للناس «تقدّموا» ثم قال لي: «تعالني حتى أسابقك» فسابقته فسبقته، فسكت عني

حتى إذا حملت اللحم ونسيئتُ خرجت معه في بعض أسفاره. فقال للناس: «تقدّموا». ثم قال: «تعالى حتى أسابقتك» فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول: «هذه بتلك».

لقد أصلح النبي أحوال المرأة، وبين مكانتها وحقوقها في الإسلام، وأكثر من الوصاة بها، وحذر من ظلمها وقهرها، ومنعها شيئاً من حقوقها وذلك من خلال نصوص عامة هي كمنارات الطريق لكلّ منصفٍ مسترشد وذلك مثل قوله: «إنما النساء شقائق الرجال» ، أي نظائرهم وأمثالهم في الأخلاق والطباع، كأنهن شققن منهم. وقوله: «حُبِّبْ إِلَيَّ من دنياكم النساء والطيب، وجُعِلت قرة عيني في الصلاة».

وقوله: «لا يَفْرِكُ مؤمناً مؤمنةً - أي لا يبغضها - أن كره منها خلقاً رضي منها آخر».

وقوله: «استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء خيراً» ، وهذا فهم عظيم لطبيعة المرأة وحثٌّ على معاملتها بالرفق واللين والمداراة لا بالقسوة والغلظة.

وحذر النبي من ظلم المرأة وجعل ظالمها واقعاً في الضيق والحرج والعنت غير معفو عنه فقال: «اللهم إني أحرِّجُ حقَّ الضعيفين اليتيم والمرأة».

ويبيّن النبي أن خير الرجال هو الذي يُحسن معاملة النساء، فقال: «خياركم خياركم لنسائهم».

ولم يضرب النبي امرأة قط كما قالت عائشة - رضي الله عنها - بل إنه عنّف الذين يضربون نساءهم فقال: «يضرب أحدكم امرأته ضرب العبد، ثم يجامعها في آخر اليوم».

وهذا درس تربوي رائع في مراعاة مشاعر المرأة وبخاصة حال طلبها للفراش.

إننا نعتقد أن من أهم أسباب معاناة المرأة هو حرمانها من بعض حقوقها الشرعية، وأن أفضل وسيلة لإسعادها وإسعاد المجتمع إعطاؤها تلك الحقوق ، فهذا كفيل بإسعاد المرأة وإعطائها

كافة حقوقها الشرعية وحمائتها من مظاهر الانحراف وسلامتها من كل ما يؤثر على دينها ، وهو أيضاً عبادة عظيمة كسائر العبادات التي شرعها الله تعالى .

٥ . المساواة بين الرجل والمرأة في التكريم والتكليف والجزاء الأخروي قال تعالى :
[من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنُحْيِيه حياة طيبةً ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون] .

٦ . ومن الحقوق الاجتماعية المشروعة للمرأة حقها في اختيار الزوج ، فعن خنساء بنت خدام أن أباهَا زَوَّجَهَا وهي ثيب، فكَرِهَتْ ذلك ، فَأَتَتْ رسولَ الله فَرَدَّ نِكَاحَهَا ، أي ألغاه .
وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لا تُنكح البكر حتى تُستأذن » .

٧ . ومن الحقوق الاجتماعية المشروعة للمرأة حق إبداء الرأي والسؤال ، مهما كانت مكاتهما الاجتماعية، قال أنس: كانت الأمة (أي المرأة المملوكة) من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله فتنتطق به حيث شاءت في حاجتها .

ولم يُطَق النبي أن تُضرب أمة ، فقد قال لمن ضربها مرةً: «أعتقها فإنها مؤمنة» . فكانت اللطمة سبباً كافياً في تحرير العبيد عند محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - .

وكان النبي لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضى لهما الحاجة .

٨ . ومن الحقوق المشروعة للمرأة حقها في الخروج من بيتها لقضاء الحاجات وحضور الصلوات في المسجد وغير ذلك، فقد قال: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله» .

٩ . ومن الحقوق المالية المشروعة للمرأة حقها في المهر لقوله تعالى: [وآتوا النساء صدقاتهن نحلة] أي أعطوهن مهورهن ، فريضة عليكم .

١٠ . ومن الحقوق المالية المشروعة للمرأة حقها في النفقة عليها كزوجة لقوله صلى الله عليه وسلم: «ابدأ بمن تعول» ، وقوله «امراتك ممن تعول».

ويدخل في النفقة: **حقها في المسكن** لقوله تعالى: [أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم]، أي مما تجدونه من المال على قدر سَعَتكم وطاقتكم.

وقد رَغِبَ النبيُّ الأزواجَ في التوسعةِ على الزوجات بالنفقة فقال لسعد: «إنك لن تنفق نفقةً تبغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها، حتى ما تجعله في فيء - أي فم - امراتك» وقال «أفضل دينارٍ دينارٌ ينفقه الرجل على عياله» . وقال: «إن الرجل إذا سقى امرأته من الماء أُجر» .

وقال: «إن الله سائل كل راعٍ عما استرعاه ، حفظ ذلك أم ضيع ، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» . وقال: «الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» .

١١ . ومن الحقوق المشروعة للمرأة حقها في الحياة الكريمة وحسن العشرة الزوجية، فقد ورد أن نسوة ذهبن إلى بيوت أزواج النبيِّ يشتكين أزواجهن، فقال النبي: «لقد أطاف بآل محمد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخياركم».

وهكذا أسقط النبي خيرية هؤلاء الرجال لمجرد شكوى زوجاتهم عليهم، وهذا غاية الإنصاف للمرأة.

١٢ . ومن الحقوق المشروعة للمرأة **حقها في فراق زوجها بالخلع** ، فقد ورد أن امرأة ثابت ابن قيس قالت: يا رسول الله! ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين ولكني أكره الكفر في الإسلام. (أي أكرهه كما أكره الكفر في الإسلام)

فقال رسول الله «أتُرَدِّين عليه حديقته؟ (أي مهره الذي أعطاك إياه)» قالت: نعم قال: «أقبل الحديقة، وطلقها تطليقة»

١٣. ومن الحقوق المشروعة للمرأة حقُّها في الحضانة بعد الطلاق، فقد أتت امرأة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت: إن ابني هذا كان بطني له وعاء، وثديي له سقاء، وحجري له جِواء، وإن أباه طلقني وأراد أن ينتزعه مني فقال: «أنت أحقُّ به ما لم تنكحي».

١٤. وقد راعى النبي حاجة المرأة الجنسية فرغَّب الأزواج في إشباع هذه الحاجة لدى المرأة، حتى لا تنحرف وتلتفت لغير زوجها فقال «وفي بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله! أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر؟

قال: «أرأيتم إن وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ كذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر» .

١٥. ومن تكريم النبي - صلى الله عليه وسلم - للمرأة أن نهى الأزواج عن سوء الظن بنسائهم وتلمس عثراتهن ، كما قال جابر بن عبد الله الأنصاري: «نهى رسول الله أن يطرق الرجلُ أهله ليلاً يتخوُّهم أو يلمسُ عثراتهم».

فأي تكريم للمرأة فوق أن يُمنع الرجلُ من دخول بيته ليلاً إذا قديم من سفر ، لئلا تظن امرأته أنه كان يقصد التحسسَ عليها فتتجرح مشاعرها.

١٦. وأما الوفاء للزوجة بعد وفاتها فقد ضرب النبيُّ أروع الأمثلة في ذلك، قال أنس: «كان النبيُّ إذا أتى بالهدية قال : اذهبوا إلى فلانة ، فأنها كانت صديقة لخديجة» ، وخديجة كانت أحد نساءه ، وقد توفيت عنه.

ولكبار السن مع النساء مكانة عند النبي - صلى الله عليه وسلم -، فعن عائشة قالت: جاءت عجوز إلى النبي وهو عندي، فقال لها رسول الله: «من أنت؟»، قالت: أنا جثامة المزنية. فقال: «بل أنت حسَّانة المزنية، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟»

قالت: بخير، بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فلما خرجت قالت عائشة: يا رسول الله! تُقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: «إنها كانت تأتينا زمن خديجة، وإن حُسن العهد من الإيمان».

١٧. وقد حظيت الأم بمكانة خاصة عند النبي صلى الله عليه وسلم، فقد سأله رجل: من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: «أمك».

قال: ثم من؟ قال: «أمك».

قال: ثم من؟

قال: «أمك» قال: ثم من؟

قال: «أبوك».

وجاء رجل إلى رسول الله فقال: يا رسول الله! أردت أن أغزو وقد جئت أستشيرك. فقال: «هل لك من أم؟».

قال: نعم.

قال: «فالزمها فإن الجنة تحت رجليها».

١٨. كما اعتنى النبي بذوي الاحتياجات الخاصة من النساء، فعن أنس بن مالك أن امرأة في عقلها شيء قالت: يا رسول الله! إن لي إليك حاجة، فقال رسول الله: «يا أم فلان! انظري أيّ طريقٍ شئتِ قومي فيه حتى أقوم معك، فخلا معها رسول الله يناجيها حتى قضت حاجتها».

١٩. وللنساء عناية خاصة عند النبي محمد صلى الله عليه وسلم حتى في حال الحرب، فقد نهى النبي عن قتل النساء في الحروب، ومرّ على امرأة مقتولة في بعض الغزوات فوقف عليها ثم قال: «ما كانت هذه لتقاتل» ثم نظر في وجوه أصحابه، وقال لأحدهم: «الحق بخالد بن الوليد، فلا يقتلن ذريةً ولا عسيفاً - أي أجيلاً - ولا امرأة».

٢٠. ومن الحقوق المشروعة للمرأة حقها في حرية التصرف في التعاقدات المالية كالبيع والشراء والدَّيْن والرهن، والقرض، والوكالة، والإجارة، والوقف، والتبرعات المالية وغير ذلك.

٢١. ومن الحقوق المشروعة للمرأة حقها في الميراث، فبعد أن كانت المرأة تورث كالمحتاج، ضمن لها الإسلام ورثا من أبيها وأخيها وأمها ، بحسب قانون التوريث الوارد في القرآن والأحاديث النبوية.

٢٢. ومن الحقوق المشروعة للمرأة الحقوق السياسية للمرأة: حقها في البيعة والحسبة والشورى والأمان والإجارة والنصيحة وغير ذلك، فقد أجارت أم هانئ رجلاً من المشركين، وأقر النبي - صلى الله عليه وسلم - أمانها وقال: «قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ».

وهذه امرأة تستوقف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لما صار خليفة وحوله الناس ، وقد كان من خواص اصحاب النبي عليه الصلاة والسلام ، فوعظته وقالت له: (يا عمر! قد كنت تدعى عميراً ، ثم قيل لك أمير المؤمنين، فاتق الله يا عمر، فإنه من أيقن بالموت خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذاب)، وهو واقف يسمع كلامها.

ف قيل له في ذلك فقال: والله لو حبستني من أول النهار إلى آخره لا زلت^١ إلا للصلاة المكتوبة ، أتدرون من هذه العجوز؟ هي حولة بنت ثعلبة ، سمع الله قولها من فوق سبع سماوات، أيسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر!!

٢٣. ومن الحقوق المشروعة للمرأة حقها في الخروج للعمل وذلك بالضوابط الشرعية المعروفة، ومن الأدلة على ذلك أن امرأة ابن مسعود كانت ذات صنعة تبيع منها وتنفق على زوجها وولدها من ثمره صنعتها، فسألت النبي فقالت: يا رسول الله إني امرأة ولي صنعة

^١ أي لا زلت أسمعها ، لا أتركها.

فأبيع منها ، وليس لي ولا لزوجي ولا لولدي شيء وشغلوني فلا أتصدق ، فهل لي في النفقة عليهم من أجر؟

فقال - صلى الله عليه وسلم - : « لك في ذلك أجر »

٢٤ . ومن الحقوق المشروعة للمرأة **حقها في التعليم** ، لقوله - صلى الله عليه وسلم - : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » ، وهذا يشمل النساء لأنه ليس هناك ما يدل على اختصاص الرجال بالخطاب ، فالأصل العموم . وقد قالت النساء للنبي : « غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوماً من نفسك ، فوعدهن يوماً لقيهن فيه ، فوعظهن وأمرهن » .

خاتمة

هذا بعض ما جاء في حقوق المرأة ومكانتها عند رسولنا وحبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - ، فما أعظمه وما أسماه ، وليس ذلك بغريب عليه ، لأن هذا التشريع من عند الله تعالى ، وإنما بلغه محمد كما أوحى عليه ، وطبقه فكان خير مثال ، وصدق الله إذ يقول لنبيه (وإنك لعلی خلق عظیم) .

فما أحوجننا في واقعنا المعاصر إلى تعلم هذا الهدى والعمل به ، وإعطاء المرأة كامل حقوقها ، والنظر على أن ذلك عبادة وقربة إلى الله تعالى .

ومن العجائب أن بعض الغربيين يقولون إن الإسلام يضطهد المرأة ، مع أن ثلثي الداخلين للإسلام من الديانات الأخرى هم من النساء ، سواء كانوا أمريكيات أو أوروبيات !

فلماذا دخل هؤلاء النساء إلى الإسلام إذن؟

تم الكتاب بحمد الله ، نفع الله به كاتبه وقارئه ، وجزا الله خيراً الذي ألف هذه المادة ، فليس عملي فيها إلا التعديل بتقديم أو تأخير . ماجد بن سليمان الرسي